# الكون بين العلم و التوراة والقرآن

أ.م.د. سلامة حسين كاظم الموسوي

كلية العلوم الإسلامية/ جامعة بغداد

١٤٣٢هـ ٢٠١١م

## Universal among Science, Quran, Bible


### Abstract

Silence didn't enter the heart of man and didn't make his spirit safe just by on mean which is believing that the glob has a complete god , powerful, fair , and he prepared for glob conserving it and estimated everything accurately , but this imagination different from religion to another , also different with requirements of modern science.

Jewish religion see that the creation of world focused on god and mentioned in the record of creation: (that the God create heaven and earth in six days , then comforted in the seventh day, but Quran contradicting their opinion. Quran also referred that the material of heaven and earth was one thing since the beginning of creation , then separated by big blow by power of God , God also mentioned parts of glob in generous Quran in order to connect the human with glob and directed to his desire and to learn numbers of years and accounting. It refers also that the glob preceding by nothing and its matter will end .

While bible contradicts with requirements of modern science especially in relation with:

1. Creation of universe.
2. History of creation universe and history of appearing the man on earth.
3. Al- Tuwfan Tale.

Also there is a note should be concern which is:

Meaning of days in Bible and Quran means stages or time period and not days that we dealing with in the world. It should be know also that the universe is in a continuous expansion as well as existence of six stages for creating it and stages of creation heavens interfering with stages of creation the earth and the primary case for heaven material was gaseous (smoke) and there is universal surface between (heaven and earth) means mediator creation .

The most important notice about this is existence of perfect conformity among Quran submissions and the close scientific discoveries about creation of universe and what around of phenomena and creatures.

## المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى اله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فلا تتنزل السكينة على قلب الإنسان ولا تعمر روحه بالأمن والأمان إلا بوسيلة واحدة هي الاعتقاد بان للكون إلها كاملا قادرا عادلا، وانه هيأ للكون نواميس تحفظه وقدر كل شيء بدقة وان آلامنا وعذاباتنا في حياتنا الدنيا لن تذهب عبثا، وان للفرد منا حقيقة مطلقة، وهذا اليقين الديني هو وحده الذي يرد للإنسان اعتباره ويحفظ له كرامته، ويطمئنه ويهديه، وبهذا اليقين الديني تتنزل السكينة على القلب ويصل الإنسان إلى حالة من العمار الروحي والاتزان الداخلي ، ويشعر انه حقيقة أقوى من الظلم بل ومن الموت.

وعلى ذلك فالمسألة الكونية على وفق ذلك هي أعظم جدا من المسألة الوطنية وأحق من جميع المسائل الأخرى وبتعدد الأسباب و تشعب المناحي و غرابة الأطوار.

فيجوز على هذا أن تبحث العقيدة عن أكثر الفروض وأنها لا تبعث عن فرض واحد، لكنها على تعدد الأسباب يمكن أن تجتمع في تفسير يشملها جميعا، لأنه يعد منها بمثابة التعميم الذي لا تشذ منه ناحية من نواحي التخصيص، فنحن لا نهمل سببا يخطر على البال إذا قلنا أن العقيدة:- هي ترجمات الصلة بين الكون والإنسان، أو قلنا:- أنها مظهر الصلة بين العالم الاكبر والعالم الأصغر كما يقول المتصوفة، فلا بد إذن من صلة بين الكون وبين كل موجود.

ففي الكون مجال (للوعي الكوني) أوسع من مجال الحواس و الملكات، وما دامت الصلة بين الإنسان وبين الكون قائمة فلا بد من دخولها في نطاق وعيه.

والديانات في كل قبيل تترجم هذا الوعي الكوني منذ القدم وتمثله بما تشاء من الرموز والإشارات لذلك اختلفت في هذا التصور.

وقد حاولت في هذا البحث أن أبين أن القدرة المبدعة التي تخلق ملايين البشر من حيامن لا يزيد حجمها عن ملعقة شاي والتي أبدعت ما أبدعت من مخلوقات، فهي نفسها القدرة المبدعة العظيمة التي خططت لكوننا الذي لم تستطع، اكبر الأجهزة العلمية اليوم كشف حدوده.

فلو كان هذا الكون قادرا على الفوضى لما كان هناك مكان لمعجزة من المعجزات، فكثير من المعجزات التي جاء بها الرسل هي قبل كل شيء خروج على نواميس الطبيعة، و لا يمكن تقديرها و معرفة قيمتها الحقيقية إلا من كون منظم تسير ظواهره تبعا لقوانين معينة و سنن مرسومة.

لذلك حاولت في هذا البحث أن أبين التصورات و الفرضيات المختلفة للكون عند البشر قديما و حديثا، مشيرة إلى نقاط الاتفاق والاختلاف و أهم النتائج وما التوفيق إلا من الله العلي العظيم.

## المبحث الأول:

**أولا : التعريف بالكون:**

**أولا :** تعريف الكون في اللغة :-

كون : الكوْنُ :- (الحدّثُ) و منه كان كَوْناً

وكيْنُونةً ، من مصدر كان يكون أكن.

قال الفراء :-

العرب تقول من ذوات الياء مما يشبه رغتُ وسرتُ.

وكان الخليل يقول :- كينونةً و فيعولةً هي الأصل كَيوْنونة، التقت منها ياء و واو و الأولى منها ساكنة فصيرتا ياء مشددة ثم خففوها فقالوا كَيّنونة و الكائنة الحادثة(١).

وحكى سيبويه :- أن الكون مصدر مأخوذ من الفعل الثلاثي المعتل الوسط (وهو كان يكون كونا) ويأتي مصدره أيضا على التكوين والكينونة و جمعه أكوان وهو بمعنى الحدث(٢).

والتكوين : هو المعنى الذي يعبر عنه بالفعل والخلق والإيجاء والإحداث والاختراع والإبداع، وهذه الألفاظ متغايرة في التركيب متحدة في المصداق.٣

**ثانيا :-** الكون في الاصطلاح :-

للكون تعريفات كثيرة عند أهل العلم نذكر منها :-

١. لسان العرب – للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم(ابن منظور)- المجلد الثالث عشر: دار صادر- بيروت ١٩٥٦- ص٣٦٣.

٢. تاج العروس – محمد مرتضى الزبيدي - ١٣٨٦ هجري- دار ليبيا للنشر- المجلد التاسع- ص٣٣٤.

٣. شرح العقائد النسفية - سعد الدين التفتازاني- ص٨٣.

١- قال السيد الجرجاني :- الكون عند أهل التحقيق :- عبارة عن وجود العالم من حيث هو انه حق ، وان كان مرادفا للوجود المطلق عند أهل النظر[١]. هو عبارة عن وجود العالم.[٢]

٢- وعرفة سعد الدين التفتازاني بقوله :- الكون :- هو إخراج المعدوم من العدم إلى الوجود[٣]

وقيل أن الكون عبارة عن الفضاء الواسع (السماء)و عند علماء الفلك هو كل ما يحيط من أجرام و مجرات ونجوم و سدم و كواكب و فراغ بينهما[٤].

إلا أن المتخصصين قالوا :- إن إطلاق كلمة الكون في العصر الحديث تختلف عن إطلاقها في الزمن التراثي المتقدم ، والفارق هنا هو أن المتأخرين من المعاصرين يقصدون بالكون: كل ما هو متعلق و متصل بعلم الفلك ، وأما المتقدمون من التراثيين فيطلقونها على كل الموجودات في الكون.

أما غير الفلاسفة فقالوا: إن الكون:- عبارة عن مفهوم كلامي تم تأويله بطرق شتى لنظريات مختلفة متعددة ومن هذه الاتفاقات القليلة هو: أن مفهوم الكون :- يدل على الحجم النسبي لمساحة الفضاء (الزماني والمكاني) الذي تتواجد فيه المخلوقات العاقلة و غير العاقلة ، كالنجوم والمجرات والكائنات الحية ، في تحديد طبيعة هذا الكون لمختلف الآراء ، فمن هنا يصور الفلسفات

---

١. شرح التعريفات- سيد شريف- مطبعة احمد كامل- اسطنبول- ١٣٢٧هـ. ص١٢٦

٢. الإنسان والكون – منصور بن علي الزغيبي

٣ شرح العقائد النسفية- التفتازاني-ص ١١٦.

٤. الإنسان والكون – مصدر سابق.

المختلفة والعقائد قديما بصورة معينة ومن هنا تظهر الفلسفات والعقائد الجديدة لتأويل مفهوم الكون بصورة أخرى مختلفة.[١]

وعرفه الدكتور أنور السهتوني بأنه:- الخلق المشهود ذو الوجود الخارجي الذي يدركه الإنسان ويوجه إليه قلبه وعقله في هذه السموات والأرض والشمس والقمر و النجوم والكواكب، وهذه الكائنات المختلفة التي تدب على الأرض، والتي تخلق في أجواء الفضاء و هذه الظواهر الكونية من الليل و النهار والرعد والبرق و المطر، والأحوال و الأطوار ذات الوجود الحقيقي و ذات الآثار الواقعية.[٢]

وعلى ضوء ذلك يمكن أن نعرف الكون تعريفا جامعا مانعا:- (هو ما أحدثه الله وأنشأه من العدم و قصد إيجاده على هذا النحو المعين بمحض إرادته.)[٣]

وعلى ذلك فقوله في التعريف (أحدثه الله وأنشأه من العدم) فقد يبطل قول من يدعي بأزليه الكون ويحدد أيضا بداية للكون أو أنه خلق نفسه بنفسه.[٤]

و قوله (قصد إيجاده) فقد يخرج القول بالصدفة أو نتيجة تطورات طبيعية مجهولة. وقوله (بمحض إرادته) أي لم يجب على الله إيجاد الموجودات، بل يوجد باختياره سبحانه.[٥]

---

١. فلسفة خلق الكون- مسعود رجوي- الموسوعة الحرة- منتديات فخر العرب.

٢. مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- الإحساء- العدد الثالث- السنة الثالثة- ١٤٠٣هـ -ص٤٥- محمد الانور السهتوني.

٣. الكون في القرآن- إسماعيل محمد قربي- رسالة ماجستير- ١٤١٤هـ - ص٧.

٤. المصدر نفسه- ص٧.

٥. المصدر نفسه

ولهذا فالكون:- هو ما خلقه الله من الأشياء المنظورة و هو عالم محض منشأ واقع في الخارج، ولهذه الأشياء صفات وكيفيات تتأثر بها حواسنا ويصور لنا إدراكنا الحسي في الذهن فكرة عنها، وإن كانت تلك الأشياء تبدو لأذهاننا على غير ما هي عليه في الواقع ، لأنها تتحول سريعا وتتغير وإن تراءت لحسنا كأعيان ثابتة ساكنة.[1]

**ثانيا:- صورة الكون قديما:-**

سادت صورة الكون الأسطورية لدى جميع الشعوب القديمة:١- السومريين و الاكديين و المصريين ٢- البابليين ٣- اليونان ٤- الفرس والهنود وهناك عدد من نقاط الالتقاء في أساطير تلك الشعوب بهذا الشأن.

لهذا سأتطرق إلى كل من هذه الأقوام:

**أولا:** الكون عند المصريين:-

لم تكن آراء المصريين تختلف عن غيرهم من الأمم و لاسيما عن السموات وأجرامها التي كانت لها علاقة كبيرة بمعتقداتهم الدينية.[2]

فقد جعلوا مصر مركز الأرض وأوطأ جزء فيها و أن السماء سقفا يرتفع على أربعة أعمدة ، أما النجوم فمعلقة في السقف كالمصابيح، وتخيلوا أن الشمس تنتقل ليلا في زورق في الخندق المحيط بالأرض إلى مكان طلوعها في اليوم التالي.[3]

---

١. الوجود- محمود أبو الفيض- مطبعة حجازي- القاهرة- ١٣٦٦- ص١٣.

٢. ديانة قدماء المصريين- استدروق الألماني- ترجمة سليم حسن- ط/ ١- مطبعة المعارف- ١٩٢٣- ص٢٧.

٣. صورة الكون- د. محمد عبد اللطيف مطلب- الموسوعة الصغيرة- ٣٥- ص١٧.

وكانوا يعتقدون أن بداية الخلق هي السماء ، و قد ظلت هي والنيل اكبر أربابه إلى آخر أيامهم ، و لم تكن الأجرام السماوية الصحيحة في اعتقادهم مجرد أجرام ، بل كانوا يعتقدون أنها الصور الخارجية لأرواح عظيمة لأنه ذات إرادات توجه حركاتها المختلفة المعقدة أما عن بدء خلق الكون فقد ذهبوا في ذلك مذاهب شتى نذكر منها :-

أ- كانوا يعتقدون أن العالم وجد بطبيعته أي بدون تأثير للإله في إيجاده ، وقد يؤخذ ذلك من الأنشودة المصرية القديمة التي كانوا ينشدونها ل(اتوم رع) أي (اله الشمس) ، تقول الأنشودة :-

"أنت الذي خلقت جميع الآلهة والإنسان ونظمت جميع الأشياء وان هذه الأشياء لم تخلق إلا من مادة لها سابقة وجود وهي جسم عظيم من الماء يدعى (نو) إله الماء يشتمل على خلايا الحياة من ذكر وأنثى من هذا الماء فطرت (رع) الشمس الخالقة التي تولد منها الهواء والجو(شووتفنوت)أي أن السماء والأرض في البدء كانتا شيئا واحدا ، وفصل بينهما شو ، فحمل السماء على يديه إلى الطبقات العلوية.[1]

ومما يظهر في عقيدتهم عن خلق الكون :-

أن البدء الأول الذي تكون منه الكون هو الماء الأزلي الذي احتوى على عاملي الذكر والأنثى وبرز اله الشمس بنفسه فولد منه اله الأرض ، واله السماء وأنهما كانتا شيئا واحدا في بادئ الأمر ، ثم فصل بينهما فأصبحت السماء فوق والأرض تحت ، وان الشمس تسبح في سفينة فوق ظهر (توت)و فيهما الآلهة.

---

١. ديانة قدماء المصريين- ص٢٥.

تلك هي العقيدة الوثنية التي هيمنت على حضارة مصر القديمة و نظروا إلى رمز محسوس للإله الواحد الأحد المنفرد بالخلق في الأرض والسماء.[1]

ب- قالوا :- إن فكرة خلق الكون هي (خاصة بالكلمة) أي (من البداية كانت الكلمة) إذا شعر روح الماء بالرغبة في الفاعلية الخلاقة و نطق بالكلمة ، فقفزت الكلمة فورا إلى الكينونة على الهيئة التي سبق لها أن تشكلت في عقل الروح قبل أن ينطق بالكلمة التي أثمرت المخلوقات وكان فعل الخلق الثاني تكوين جرثومة أو بيضة و منها انبثق اله الشمس على شكل شعاعة تجسد القدرة الفائقة للروح المقدسة.

يقول المؤرخ برستيد: "إن عقيدة فتاح.[2]هي أساس مذهب الخلق بالكلمة عند الإغريق الأقدمين ، فلا حاجة بالخالق إلى أداة للخلق غير (أن يشاء ويأمر) إذن (بما شاء موجود كما يشاء)ويظهر لنا من نظرة المصريين للكون أن هناك وحدة بين الخالق والمخلوقات ، والمادة الأزلية مؤثرة في حياة الإنسان وأن عامل الخوف موجود عند المصريين لهذا عبدوا الروح والرعد والبرق توخيا من شرها ورأوا أن هناك صراعا بين إله النور وإله الظلام وكان ذلك من أهم مظاهر الصراع بين عناصر الكون ( الأرض والسماء) فأصبحت الشمس رمزا للحياة والنور ، والظلام رمزا للموت والشر ولهذا تعلقت أخيلة الشعراء بالشمس وبدئوا يتغنون بها.[3]

---

١. الله — عباس محمود العقاد- ص٦١.

٢. اله السماء عند المصريين-

٣. الكون في القرآن- دراسة مقارنة- إسماعيل محمد قربي- رسالة ماجستير- بغداد- ص٦.

وقد دل القرآن الكريم على أن المصريين كانوا غير موحدين لله قال تعالى:

﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾[١]

ثانيا: - الكون عند البابليين

لم تكن صورة الكون عند البابليين تختلف في الجوهر عن صورته عند المصريين، فعند السومريين والبابليين والمصريين كان الماء في الأصل موجودا ومنه ظهرت الآلهة التي خلقت الموجودات الأخرى بأن جففت جزءا من الماء (المحيط) وكونت الأرض وصعدت أبخرة ودخانا كوّن منه (مردوخ) عند (البابليين) و (رع) عند (المصريين)، السموات.

تقول الأسطورة البابلية: - (اينوما ايليش) حينما في العلى أن مردوخ بعد أن خلق السماء والأرض من الماء وضع لها أبراجا من النجوم تعين بزوغها وأحوالها السنة والشهر واليوم، والمشتري ليحدد واجبات الأيام وأوقات ظهورها.[٢]

كذلك رسم للشمس طريق الشروق والغروب ووضع لها أبوابا تفتح وتقفل و(أمر القمر أن يطلع ووكله بالليل وجعله من كائنات الظلام لقياس الزمن)[٣]

وراح يزينه كل شهر بتاج( في مستهل الشهر إذ تطلع في السماء ليقس قرناك أياما ستة، وليظهر نصف تاجك في اليوم السابع، وحين تكون بدرا

١. يوسف: ٣٧.

٢. صورة الكون– ص١٢.

٣. صورة الكون ص١٣.

فلتواجه الشمس.. وحين تسبقك الشمس في كبد السماء قلل ضيائك ونور نصفا.[1]

(حينما في العلم لم ينبأ عن السماء - لم تسم باسم- وفي الدنى (الأسفل) لم تذكر الأرض باسم، وحين كانت مياه (ابو) الموجود الأول والدهم والأم (تيامة) والدتهم جميعهم، واحدة مختلفة، ولم يكن قد وجد أي يرى ولا يرى أي شيء حتى هور قصب، حينما لم يظهر إلى الوجود أي من الآلهة ولم تذكر أسماؤهم، و لا خصصت وظائفهم وأقدارهم، ثم وجد الآلهة في وسطها (وسط ابو وتيامة)[2]

بعدها تتحدث الأسطورة عن صراع كبير، الآلهة الشاب (مردوخ) مع (تيامة) وانتصاره عليها وقتلها. و"شطر جثتها إلى شطرين"خلق منهما الكون إذ جعل من نصفها الأعلى السماء، و من نصفها الأسفل خلق الأرض، و عين الآلهة العظام وعلى رأسهم (انو) و (انليل و أيا) الأجزاء التي يحكمونها من الكون، و لما تم ذلك لمردوخ ارتأى أن يُوجد مخلوقا سُمي بالإنسان (من أجل أن يخدم الآلهة) و فرض على الإنسان خدمة الآلهة ليريحها من التعب والعناء[3] وفي أسطورة أخرى تكلمت الآلهة الخالقة (تيو) قائلة :- (لي يرجع صنع كل شيء لائق متقن فليكن الإنسان، ليكن من طين — و لتدب فيه الحياة بالدم)[4]

---

١. الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم.مجلة عالم الفكر،الكويت، سبتمبر ١٩٧٧

٢. مقدمة في أدب العراق القديم — بغداد- ١٩٧٦- طه باقر- ص٧٤.

٣. المصدر نفسه- ص٧٤.

٤. المصدر نفسه — ص٨٥.

فخاطب الإله (أيا) الآلهة العظام :- ( ليضع أحد الآلهة، و لتخرج الآلهة الطين بدمه فيخرج الآلهة بالإنسان.)[1]

و تقول أسطورة أخرى :- (في البدء لم يكن موجودا أي كائن، فلا بيوت مقدسة للآلهة،و لا أحراش قصبا و أشجار، و لم تصنع آجرّة، و لم يتبين – أسس "أوروك" و لم تقم " أريدو" كانت الأرض اليابسة بحرا، ثم شيدت أريدو و شيدت بابل من جانب مردوخ[2]

و على هذا ووفق ما ذكرته الأسطورة انهمك انو ينظرون إلى الكون كلا متماسكا، لكن يمكن تجزئته بموجب الفكر السومري إلى جزأين:

١- الجزء العلوي :- السماوي ويتكون من سماء وفضاء فوقها و يعني (an) في السومرية (العلى) حيث تسكن الآلهة السماوية.

٢- الجزء الأرضي :- حيث تعيش آلهة العالم الأسفل و هي مستقر الأموات.[3]

ولم يعرف عن تصورات هؤلاء علما منظما للكون يتكلم عن مشكلات الكون الأساسية لدى سكان بابل حتى النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد و عندئذ يظهر في أسطورة (ايونا ايلش) وصف الكون في بدء تكوينه وتقول :-

(عندما في الأعالي لم يكن للسماء أي ذكر

ولم يخطر بالبال اسم لليابسة تحتها

و عندما لم يكن آل(ابو) و والدهما

---

١. مقدمة في ادب العراق القديم. طه باقر ص٧٤.

٢. المصدر نفسه– ٨٧.

٣. الكون في القرآن– إسماعيل قرني– ص٨.

يمزجون أموالهم معا
عندما لم يكن هناك مستنقع و لا جزيرة
و لم يكن قد ظهر أي إله
و لا سُمّي إله باسمه ، و لا عين له أي مصر
عندما تكون الآلهة فيهم)

يرى من هذا الوصف أحدث مرحلة من مراحل الكون (الماء) تتألف من ثلاثة عناصر متداخلة : -

أ- ابو – و يمثل المياه العذبة.
ب- تعامت – مياه البحر المالحة.
ج- ممو – و يمثل السحب و الضباب. [1]

و قد امتزجت هذه الأنواع الثلاثة من الماء في كتلة كبيرة لا حدود لها ، و لم تكن قد وجدت فكرة السماء فوق مستقرا أسفلها يابسة ، وإنما الكل ماء حتى ولا الآلهة كما يعتقدون – بينما يبين بوضوح موضوع خلق السماء والأرض في المعتقدات السومرية ، تلك المقدمة التي وردت في قصيدة سومرية بعنوان (جلجامش وانكيدو والعالم الآخر) تقول : -

"بعد أن أبعدت السماء عن الأرض
و بعد أن فصلت الأرض عن السماء
و بعد أن عين اسم الإنسان – خلق الإنسان –
وبعد أن أخذ السماء آنا (اله السماء)
وبعد أن أخذ الأرض (انليل اله الهواء).

١. المصدر السابق– ص٩.

يبدو من هذه النصوص – أن السماء والأرض من بدء خلقهما شيء واحد ملتصقة لا انفصال بينها، تكونت كتلتهما من الماء.[1]

إذن الماء هو العنصر الأول للخلق في الفكر البابلي سواء أكان هذا الماء مصدر الفعل والحركة أم مصدر الأشياء الجديدة.

و يمكن أن نلخص تصورتاهم عن الكون بهذه الخطوات الثلاثة: -

١- في زمن ما كانت السماء و الأرض متحدتين

٢- كان بعض الآلهة موجودا قبل انفصال السماء عن الأرض

٣- وبعد انفصالهما كان الإله (آنا) إله السماء هو الذي أخذ السماء والإله (أنليل) أخذ الأرض أما تصور السومريين والبابليين عن الأجرام النيرة فإنهم عدوا القمر إله و يعرف باسم (سين) و الشمس إله (اتو) و الزهرة اله (أنانا)

أما عن خلق الإنسان فقد ورد في قصة الخليقة البابلية و قصة الطوفان (اتراخاسيس) انه جيء بالإله (وي- ايلا) أحد الآلهة لدى البابليين، فذُبح أمام الآلهة فمزج الإله (ننتو) دمه ولحمه بالطين و خلق الإنسان تقول القصة: -

و ذبحوا في مجلسهم (وي – ايلا) الذي كانت له ذات و مع لحمه ودمه
فخرجت (ننتو) الطين
ثم استمعوا إلى الطبل لما تبقى من الوقت
فكانت روح من لحم الإله

---

١. من ألواح سومر- صموئيل كريمر- ص١٦٠- ترجمة طه باقر.

و نودي بالإنسان الحي رمزا لها.[1]

و خلاصة ذلك : أ_ أن الإنسان خلق من طين و دم حسب المآثر البابلية

ب_ أن الإنسان خلق لغاية أن يعبد الآلهة ويقيم معابدها ويقدم لها القرابين ويخصها بالنذور.[2]

ت _انه خلق من أجل أن يكدح في الأرض ويريح الآلهة من عناء العمل و يقدم لها الطعام.[3]

ومما هو جدير بالملاحظة أن البابليين لم يستخدموا الطرائق الهندسية لتفسير الظواهر الكونية- لهذا بقيت آراؤهم بخصوص بنية الكون بعيدة عن العلم. بل هي وثنية

**ثالثا : - الكون في تصور اليونان**

كانت صورة الكون عند اليونان القدماء في البدء صورة أسطورية — كما كانت لدى الشعوب القديمة الأخرى. و تخبرنا أسطورة (هيزيود)٤ انه ( من البداية كان عماء، ثم كانت بعدئذ الأرض. وثمة أصل ثالث هو (ايروس) و هو الحب أو قوة التولد، ••• وولد لهذين :- الأثير والنور،وولدت الأرض والجبال والسماء وولد من اقتران السماء والأرض المحيط، ونشأ عن تزاوج السماء والأرض الجبابرة)[5]

---

١. من ألواح سومر إلى التوراة- ص٢٤٨.

٢. الكون في القرآن ص١٣.

٣. المصدر أعلاه- ص١٤.

٤. شاعر الفلاحين في القرن الثامن قبل الميلاد

٥. د. حسام الالوسي — الزمان ص١١٩

وتطورت صورة الكون لدى اليونان بمرور الزمن تطورا كبيرا و ذلك حينما ربطوا الحقائق الفلكية بالتط ورات الهندسية و الفلسفية فطاليس يرى أن الماء أصل الوجود وهو المادة الأولى التي صدرت عنها الكائنات و إليها تعود و ذلك لان الماء قابل لكل صورة و منه أبدع الجواهر كلها من السماء والأرض وما بينهما. و هو علة كل موجود و علة كل مركب من العنصر الجسماني و قال:- إن من جمود الماء تكونت الأرض و من انحلاله تكون الهواء و من صفوة الهواء تكونت النار ومن الدخان و الأبخرة تكونت السماء، ومن الاشتعال الحاصل من الأثير تكونت الكواكب، فدارت حول المركز، والذي حمله على هذا المذهب نشأته على شاطئ البحر.

ويرى تلميذه افاكسيماندر (٦١١ – ٥٤٥ ق.م ):-

إن الأصل الذي تكون منه الكون هو (المبهم أو اللامتناهي)

- الذي كان يقصد منه الهواء – وقد اختلفوا بعده في تفسير اللامتناهي، فذهب بعضهم إلى أن المراد به هو الفراغ الذي لا يتناهى و الذي منه نشأ كل شيء واحتوى كل شيء من الموجودات المحددة[١]

يقول اناكسيماندر: - (إن النجوم تدور حول النجم القطبي ) واستنتج أنها تتصل بكرة تقع الأرض في مركزها طليقة في الفضاء دون سند. وقد تصور أن الأرض تستطيع البقاء في هذا الموضع لأنها على أبعاد متساوية من الأجرام السماوية الأخرى- وكأنه كما لو كان يفكر بفعل جاذبية تلك الأجرام الكونية على الأرض.

---

١. الفلسفة اليونانية في عصرها الأول ص٣١

فلم تكن صورة البابليين و المصريين لتستطيع أن تعطي جوابا لمسالة :- (أين تذهب الشمس ليلا؟؟)[1] إما اناكسيندر :- فتصور أنها تمر تحت الأرض في الليل ، غير أن هذه الصورة كانت غريبة في حينها لدرجة أنها لم تلق قبولا واسعا.

كما اعتقد الفيثاغوريون:- إن الأرض كروية في شكلها وكذلك الشمس والقمر و النجوم، وان الأرض ليست مركز الكون بل تدور مع الكواكب حول نار مركزية ليست الشمس و قد قادهم اعتقادهم بأهمية الأعداد في نظام الطبيعة أن يتصور و أن أبعاد الكواكب و الشمس و القمر عن النار المركزية تتناسب مع بعضها بنسب بسيطة، تطابق نسب الأنغام في الفواصل الموسيقية.[2]

كما اكتشف اناكساغوراس (٤٨٨ — ٤٢٨ ق.م ) :- سبب اختلاف أوجه القمر قائلا :- (إن القمر يستمد نوره من الشمس، وانه يخسف حينما يقع في ظل الأرض وكان لا يرى أعجوبة أو قدسية في ظواهر السماء)

فذهب إلى أن طبيعة الأجرام السماوية لا تختلف عن طبيعة الأرض على العموم و إن الدوران يجعلها تتوهج، و إن في القمر وديانا و جبالا كتلك التي في الأرض كما ذهب إلى أن الكون (كان كتلة مختلطة بدون انتظام بهيئة فوضى).[3]

وأصبح مركز هذه الكتلة يدور بشكل دوامة اتسعت حتى تشمل الكتل كلها.

---

١. صورة الكون– د.محمد عبد اللطيف ص٢٥

٢. صورة الكون– ص٢٥

٣. صورة الكون ص٢٥

فانفصل الهواء و السحاب والماء والتراب والأحجار عن بعضها بفعل الدوران بحيث بقيت الأجسام الثقيلة قرب المركز، وبسبب عنف الدوران، استطاع الأثير تحطيم الصخور و قذفها بعيدا عن الأرض فأصبحت نجوما لكن هذه الآراء لم تنتشر انتشارا واسعا.

وقد رفض افلاطون آراءه هذه وقرر حكام أثينا مقاضاته بتهمة الإلحاد. والكفر بالإله (زيوس)[١] و ذهب (فيلولاوس ٥٠٠ ق.م ) إلى أن الشمس والأرض والكواكب تتحرك في مسارات دائرية متمركزة حول نار مركزية وافترض شكلا كرويا للأجرام السماوية.[٢]

إما بودوكسوس (٤٠٩ - ٣٥٦ ق.م): - فقد ذهب إلى أن الأرض ساكنة و تقع في مركز الكون و تتحرك حولها كرات عدة.

أما (هيرافليطس)(٣٨٨ – ٣١٥ ق.م): -

فقد ذهب إلى القول بكروية الأرض و دورانها، إما الشمس و القمر والكواكب الكبيرة فتدور حول الشمس. وان العالم في تغير دائم و القمر و الكواكب الكبيرة فتدور حول الشمس. وان العالم في تغير دائم و ذهب أرسطو (٣٨٤- ٣٢٢ ق.م) إلى أن الإنسان يعيش على الأرض الكروية في مركز الكون ويحيط بالأرض غلاف الهواء و غلاف النار. و فوق ذلك تأتي كرة القمر ثم الكواكب.

و قال: - إن هناك مادة أزلية قديمة في حالة هولي، وهي علة كل شيء في الوجود، وان مادته ليست محتاجة لمقوم أو مدبر، إلا أن يدفعها أول

١. زيوس: اله اليونان الأكبر

٢. صورة الكون ص٣٥

مرة، ثم يتركها تدبر نفسها، فالإله عنده معطل بلا عمل سوى انه يدفع دورة الكائنات أول مرة، و تنتهي مهمته عند هذا الحد ثم تستمر تلك المادة مضافا إليها الصورة فتتخلق وتصنف أجناس الكائنات وأنواعها.[١]

كما بحث أرسطو إمكان وجود أرواح للأجرام السماوية وهنا وجدت الافلاطونية الجديدة لها منفذا لتعيد الآلهة القديمة إلى عروشها.

فذهب (ارستارخ) (٣١٠- ٢٣٠ ق.م)إلى أن الشمس والنجوم الثابتة لا تتحرك، و إن الأرض تدور حول الشمس في مسار دائري تقع الشمس في مركزه وان الشمس اكبر من الأرض.

كما استطاع (ايراتوستينس)(٢٧٦- ١٩٥ ق.م ) قياس محيط الأرض بطريقة علمية صحيحة و توصل إلى نتيجة قريبة جدا من القيمة الحقيقية.[٢]

و ذهب ( هيبارش )( ١٩٠- ١٢٠ق.م ):- إلى دوران محور الأرض أي أن المحور لا يتجه دائما إلى نفس النقطة في السماء.[٣]

ثم جاء (بطليموس) (١٦٥- ٨٥ ق.م) فوضع نظريته التي تعد من اكبر الانجازات في فلك العصور القديمة.

للأبراج السماوية – والتي ربطت ببعض الأساطير- كبرج الحوت والجدي و العقرب... و هذا ما يتجه إليه الفلكيون اليوم.

---

١. الوجود – السيد محمود ابو الفيض ط ١٩٤٧ ص ٦٠-٦١

٢. صور الكون ص٣١

٣. المصدر نفسه:٣١

كما قال :- إن دوران الأرض حول نفسها و حول الشمس ممكنا ، إلا انه رفض هذه الحركات بدوافع فيزياوية وكان الكون عنده محددا بكرة النجوم الثابتة.

**رابعا :- الكون في منظور الحضارة الفارسية**

تأثر الفرس في اعتقادهم حول الكون بالديانات القديمة فاثبتوا أصلين اثنين مدبرين قديمين يقتسمان الخير والشر ، النفع والضر ، يسمون احدهما النور والآخر الظلمة[1]

وبالفارسية (هرمن) و (يزدان — اهورافردا )

وتدور عقيدتهم قي ذلك على قاعدتين :-

أولهما : سبب امتزاج النور بالظلمة

وثانيهما : سبب خلاص النور من الظلمة.

يقول الشهرستاني في عقائد زرادشت:- (النور والظلمة أصلان متضادان و كذلك يزدان (اهورافردا) و (هرمن) هما مبدأ موجودات العالم ، وحصلت التراكيب من امتزاجهما ، و حدثت الصور من التراكيب المختلفة.[2]

إما بشأن خلق الكون ففي رواية (الخليقة)

(لزرادشت) :- (إن هرمن خلق الدنيا في ستة ادوار فبدأ يخلق السماء ، ثم خلق الماء ثم الأرض ، ثم خلق النبات ، ثم خلق الحيوان ، وأخيرا خلق الإنسان ، و مما يلاحظ على خلق الإنسان :-

---

١. الديانات القديمة – رشدي محمد عليان — سعدون الساموك — بغداد – الفارسية ص١٢٦

٢. الملل و النحل–ج٢ الشهرستاني ص٤٢

إن ما قيل عن خلق الإنسان في الديانة الفارسية يتقارب بما قيل قبل عند البابليين و المصريين

حيث قالوا :- إن الإنسان خلق من دم الإله إذ خلق رجلا يقال له (كيومرث) و حيوان يقال له (ثور) فقتلهما فنبت من مسقط ذلك الرجل (ريباس) و خرج من أصل (ريباس) رجل يسمى (ميشه) و امرأة تسمى (ميشانه)[1] و هما ابو البشر.

**خامسا :- صورة الكون عند الهنود :**

استخدم الهنود في وصف حركة الأجرام السماوية النظام الستيني و هذا ما يدل على تأثرهم بالفلك اليوناني ، و قالوا بان الأرض كروية وان الشمس والقمر و الكواكب تبتعد عنها بمسافات تتناسب طرديا مع فترات دورانها ، و قالوا :- إن للسماء أبا وسموه (فارونا) و الأرض إما و سموها (برنييفي) و المطر هو الإله (بارمانيا) والنار (اجني) والريح (فايو) و العاصفة (اندرا) ومع الزمن تمثل الناس هذه الآلهة في صورة أشخاص راحوا يعيدونهم.[2]

و مما يلاحظ على تصورات الهنود حول الكون أنها لا تحيد عن الحضارات السابقة في المبدأ الوثني و إحلال مبدأ الخير و الشر و جعل الطبيعة و عناصرها اله

فالبرهمية يرون :- إن الكائن قبل الوجود في فضاء لا نهائي. و انه خلق العالم و حفظ لنفسه اسم برهمة الخالق ، ثم وجد الإله (سبوه) المخرب و

---

١. صورة الكون ص٣٣

٢. الديانات القديمة ص٩٢

الذي فيه تجف الأوراق و تحل الشيخوخة محل الشباب ، و يبتلع البحر مياه النهر و تفنى أيام السنة و تنقضي.[١]

ومما يلاحظ من كل ما سبق إن تصوراتهم للكون تصورات وثنية تقوم على تعاليم أسطورية و هذا ما يؤكد حقيقة واضحة للعيان وهي :- إن الحضارات القديمة اتفقت من حيث المبدأ و القانون و إن اختلفت بعض الشيء من حيث التطبيق فكلها وثنية.

**ثانيا :-**

**أولا : الكون في التوراة :-**

التوراة :- يطلق اليهود لفظة (توراة) (Tarah) على كتب موسى الخمسة ، و يسمون هذه الكتب باسم (توراة الوهيم) و أسفار موسى.[٢]

و بعضهم يطلق لفظة التوراة على العهد القديم كله.

وهي عند المسلمين كتاب انزله الله تعالى على سيدنا موسى عليه السلام ليهدي بني إسرائيل إلى الإيمان بالله عز وجل و ينقذهم من الوثنية.

لقد تناولت التوراة قصة خلق الكون و الإنسان ابتداء من بدء الخليقة إلى إن اخذ شكله النهائي ، ولم يكن الحديث في الكون حديث النشأة و جديد العهد عند بني إسرائيل بل كان قدماء المصريين و البابليين وغيرهم لهم كتابات و لهم تصورات ، سجلوا فيها أفكارا متباينة حول الكون ، ونشأته و عدد السموات و الأرض بيد إن التوراة صححت للبابليين و اليونانيين المفاهيم الخاطئة التي ورثوها عن الحضارات السابقة.

---

١ الكون في القرآن ص٢٤

٢. تدوين الكتب المقدسة – حميد عادل يزدين– رسالة ماجستير بغداد ص٥٤

و لكن:- لما كانت روايات التوراة تتناقل مشافهة بعد وفاة موسى دون إن تدون في كتاب خاص. و هذا ما حدا بالكهنة إن يحرفوا ما لا يتلائم مع مصالحهم، أو لأسباب أخرى. ومن يقرا نصوص التوراة يتضح له ما حرفه الكهنة من نصوص، و ما ادخلوا فيها مما يتلاءم مع ما أورثوه واخترعوه من الطقوس ما يخدم سياستهم فلو طالعنا سفر التكوين من بين أسفار التوراة، واخترنا منه قصة خلق الكون أولا:- نجد أنها سردت قصتين تختلف أحداهما عن الأخرى ففي الأولى نجد الماء هو العنصر الأول تقول التوراة: ((و روح الله يرف على وجه السماء))[١]

و قال بذلك المصريون و الكلدانيون و الهنود والإغريق.

إما القصة الثانية:- فتذكر إن الله خلق كل شيء حي من الطين تقول التوراة:- (( و جعل الرب الإله من كل حيوانات البرية و كل طيور السماء))[٢].

ولقد قارنا بين القصتين لوجدنا الخلاف ظاهرا بينهما فيما يتصل بالترتيب الذي اتخذه الله في خلق الكون في ستة أيام كما يأتي:

تقول التوراة: ((لان في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها و استراح في اليوم السابع لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه)).[٣]

و تزعم قصة الخلق اليهودية:- إن الخالق كان قبل يعيش بلا خليقة وفي يوم الأحد من سنة (٤٠٠٤ ق.م ) تمكن له إن يخلق الكون فاستحدثه من

١. سفر التكوين ١– ٢

٢. التكوين ١٩/٢

٣. التكوين ٢٠:١–٢١

العدم، دأب يعمل في ذلك ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع و قد اخطئوا في ترتيب الخلق، فذهبوا إلى إن الأرض خلقت في اليوم الأول، حيث إن أمها الشمس لم تخلق إلا في اليوم الرابع، وجعلوا أديم الأرض يكس بالخضرة في اليوم الثالث فأخرجت الأرض عشبا و بقلا، و جعلوا ترتيب خلق الحيوانات يتباين ترتيب رتبها و فصائلها.

وفيما يلي نصوص من التوراة تذكر قصة الخلق حيث خصص سفر التكوين من أسفار التوراة الأولى للحديث عن قصة تاريخ العالم منذ تكوين السموات والأرض:-

تقول التوراة: (( في البدء خلق الله السموات و الأرض و كانت الأرض خربة و خالية وعلى وجه القمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه)).

ففي هذا النص إشارات إلى بداية ((خلق الله السموات و الأرض، إذ لم يكن شيء على الأرض، ولم تخلق الشمس والقمر، وكان غارقا في الظلمات، و قبل خلق السموات والأرض كان الماء و روح الله يرف على وجه الماء))[1]

لكن لم تشر تلك النصوص إلى مرحلة ما قبل الماء بل إشارات إلى خلق النور.

تقول التوراة:- (ليكن نور فكان نور و رأى الله النور انه حسن، و فصل الله بين النور والظلمة و دعا الله النور نهارا و الظلمة دعاها ليلا و كان مساء وكان صباح يوما واحدا)[2]

---

١.التكوين الاصحاح: ١-٢

٢. التكوين ١: ١-٢

إن الضوء الذي يقطع الكون هو نتيجة ردت أفعال معقدة تحدث في النجوم و لكن بحسب قول التوراة لم تكن قد تشكلت بعد في هذه المرحلة.[1]

و لقد أشارت التوراة إلى خلق السماء و تقسيم المياه إلى طبقتين بواسطة الجلد الذي سيجعل المياه تنصب على الأرض عند الطوفان وعند نزول المطر وسمي الجلد الذي فصل بين المياهين (سماء) و كان ذلك في اليوم الثاني من الأيام الستة التي خلق الله فيها الكون تقول التوراة: (لتكن أنوار في جلد السماء لتفصل بين النهار والليل و تكون الآيات و أوقات و أيام و سنين و تكون أنوارا في جلد السماء لتنير على الأرض، وكان كذلك فعل الله النورين العظيمين النور الأكبر ليحكم النهار و النور الأصغر ليحكم الليل، والنجوم جعلها الله من جلد السماء لتنير على الأرض لتحكم على النهار والليل و لتفصل بين النور و الظلمة و رأى الله ذلك انه الأحسن و كان صباح وكان مساء يوما رابعا.[3]

و يفهم من هذا النص إن الشمس و القمر خلقهما الله للدلالة على الأوقات و معرفة الأيام والسنين.

وتشير التوراة إلى إن الله تعالى خلق الموجودات الأخرى من الماء تقول التوراة: (قال الله لتفيض المياه زحافات ذات نفس حيه و ليطر طير فوق الأرض على وجه جلد السماء....).[2]

كما إن هناك نصوصا أخرى في التوراة تتحدث عن الأجرام السماوية و الشمس والقمر والزمان و ظلمة الليل و غير ذلك.

---

١.التكوين ٣:١-٥

٢.سفر التكوين ١:٢٠ -٢٣

تقول التوراة: (فأكملت السموات والأرض و كل جندها و استراح الله في اليوم السابع )[1]

و في النصوص الواردة يظهر إن معطيات التوراة في حقيقة الخلق متعارضة بعضها ببعض و ذلك يتبين مما يأتي:

أ- تتحدث بعض النصوص في الاجتماع الأول من سفر التكوين عن "النور" الذي يضئ نهارا في صباح اليوم الأول من الخلق كما تروي التوراة بينما لا تذكر التوراة "أنوار" السموات من سفر التكوين إلا فيما يتعلق بخلق اليوم الرابع، و يبدو من غير المنطقي هنا إن يوجد النور أولا ؟ و لأن الليل و النهار لا يتعاقبان إلا بعد وجود الأرض و دورانها تحت نجمها الخاص بها أي الشمس، فكيف يظهر ضوء الشمس أولا ؟؟ أي النور بينما لم تخلق إلا في اليوم الرابع بحسب رواية التوراة ؟؟!

ب- تحتوي إحدى الفقرات التي تتحدث عن ترتيب المخلوقات على مزاعم لا يمكن قبولها في ضوء العلم الحديث، إذ يشير سفر التكوين إلى خلق الحيوانات الأرضية في اليوم السادس بعد ظهور الطيور، و هذا الأمر غير مقبول.

جـ - و تنتهي رواية الخلق بالنص على انه تعالى فرغ في اليوم السابع من عمله الذي عمل، فاستراح في اليوم السابع – تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

نقول في حقه تعالى: (إن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته، و لا في صفاته و لا في أفعاله و قد رد الله على هؤلاء بقوله:

---

١ سفر التكوين الإصحاح الثاني:١

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾[1]

والنقد الموجه إلى النص التوراتي يتلخص في انه يقسم روايته إلى أيام بالمعنى الدقيق، أيام الأسبوع الذي نعرفه و نقدره في حياتنا الدنيوية، بينما المعروف تماما من وجهة النظر العلمية في أيامنا إن تشكل الأرض و الكون قد تم على فترات زمنية شديدة الطول، لا تسمح المعطيات الحديثة بتحديد مدتها أو التكهن بها، لذلك فان تعاقب الأحداث في النص الكهنوتي[2] يناقض المعلومات العلمية الأصلية.

و قد تنبه لذلك الأستاذ موريس بوكاي – عندما قارن بين الأيام في التوراة والقرآن – فذكر أنها تعني مراحل أو فترات زمنية و ليس الأيام المتداولة بيننا في الدنيا.

و هو ما أورده القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ ﴾[4].

---

١. ق.٣٨.
٢. الكهنوتي: نسبة إلى الكهنة الذين أعادوا روايتي الخلق على مشيئتهم.
٣. السجدة/ ٥.
٤. المعارج / ٤.

ويقرر بوكاي في النهاية بقوله: (فمن حقنا إذن إن نقبل فيما يتعلق بخلق العالم – بقول القرآن ضمنا بفترات زمنية طويلة رقمها بالعدد ٦) و لا شك أن العلم الحديث لم يسمح للناس بتقرير أن عدد المراحل المختلفة للعمليات هو ست مراحل، و لكنه قد أثبت بشكل قاطع أنها فترات زمنية طويلة جدا قد تتضائل إلى جانبها الأيام كما نفهمها و تصبح شيئا تافها.[١]

ثانيا:- تاريخ خلق العالم وظهور الإنسان على الأرض:-

يحدد التاريخ العبري الوارد بالعهد القديم تاريخ خلق العالم بسبعة و ثلاثين قرنا، قبل الميلاد و هو مخالف تماما لما نعرفه بواسطة العلم الحديث، إذ من العسير معرفة ما يتعلق بخلق الكون، و كل ما يمكن تحديده على وجه التقريب هو تكوين النظام الشمسي تقريبا بأربعة مليارات ونصف من السنوات، كذلك أخطأت التوراة في سفر التكوين عندما حددت الفترة الزمنية التي تفصل بين إبراهيم عليه السلام و آدم عليه السلام إذ تشير الروايات التوراتية إلى أن آدم كان قبل المسيح عليه السلام بثمانية و ثلاثين قرنا، و قد ثبت إن هذه التقديرات الوهمية هي من عمل الكهنة اليهود في القرن السادس قبل الميلاد، كما أنها تتعارض مع المكتشفات العلمية التي حددت تاريخ الخلق بعصر سابق بكثير.[٢]

و يقرر (موريس بوكاي ) إلى أنه لا أحد يستطيع أن يحدد بشكل دقيق تاريخ ظهور الإنسان، و مع ذلك فيمكن التأكيد بوجود أطلال الإنسانية. و يمكن احتساب قدمها بوحدات تتكون من ألوف السنين وعلى أي حال فإن المعطيات

---

١. الإسلام والأديان – دراسة مقارنة.د.مصطفى حلمي–دار ابن الجوزي–القاهرة ص١٧٨

٢. المصدر نفسه ص١٧٩

العلمية تسمح بتحديد تاريخ الإنسان أبعد بكثير من العصر الذي يحدده سفر التكوين لأوائل البشر.[1]

ثالثا: رواية الطوفان

قال تعالى: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٣٧) ﴾[2]

يبدأ موريس أولا في بيان إن الاصحاحات (٦- ٧- ٨) من سفر التكوين مخصصة لرواية الطوفان، و لكنها تتضمن روايتين منفصلتين في مقاطع متداخلة كل في الآخر، مما يجعلها تتناقض مع بعضها البعض تناقضا صارخا إذ يحاول اليهود تعليل هذا التناقض بسبب اختلاف مصدريهما، - أي المصدر اليهودي و المصدر الكهنوتي- و على أيه حال فان الرواية في شمولها هي كما يأتي: -

لما عمَّ فساد البشر أراد الله تعالى تدميرهم فحذر نوحا وأمره ببناء السفينة التي سيدخل بها زوجته و أولاده الثلاثة بزوجاتهم الثلاث و كائنات أخرى حية و يختلف المصدران بالنسبة للكائنات الحية، فهناك مقطع من الرواية ( وهو كهنوتي الأصل) يشير إلى إن نوحا قد أخذ زوجا من كل نوع، ثم يحدد المقطع التالي (و هو الأصل اليهودي) إن الله قد أمر بأخذ سبعة من كل نوع من

---

١.نشرت جريدة الأهرام القاهرية قي يوم ٨-٤-٢٠٠٥بان فريقا علميا و دوليا أعلن إن الجمجمة التي اكتشفت سنة ٢٠٠٢م في تشاد يرجع عمرها إلى (٧) ملايين سنة مضت، قد تكون لأقدم إنسان عاش على سطح الأرض و الدراسة نشرتها مجلة (فيتشر البريطانية) العلمية.

٢. الفرقان — ٣٧.

ذكر و أنثى من الحيوانات المسماة بغير الظاهر، و لكن بعد ذلك يتحدد إن نوحا لن يدخل إلى السفينة فعلا إلا زوجا من كل نوع من الحيوانات. و يؤكد المتخصصين مثل الأب (ديفو) إن المعني به هنا هو مقطع معدل من الرواية اليهودية.

كذلك تجد في الرواية اختلافا آخر هو:- إن عامل الطوفان هو ماء المطر، بينما يشير نص آخر إلى عامل مزدوج، أي ماء المطر والينابيع الأرضية[١] واختلفوا كذلك في مدة الطوفان إذ تقول الرواية اليهودية: (أربعون يوما فيضانا)، على حين يقول النص الكهنوتي: (مائة وخمسون يوما) وبحسب تسلسل ميلاد الأنبياء الثلاثة (آدم و نوح و إبراهيم) عليهم السلام فان التوراة تحدد إن مولد إبراهيم عليه السلام بثلاثة قرون بعد الطوفان، لكن بحسب الرواية الواردة في التوراة تبين إن الطوفان عم كل الجنس البشري وكل الكائنات الحية التي خلقها الله تعالى قد فنيت.

وعندئذ يتساءل (موريس بوكاي): هل من المعقول إن البشرية – والأمر كذلك – قد أعادت تكوين نفسها ابتداء من أولاد نوح وزوجاتهم في هذا الزمن القليل؟؟!

أما الملاحظة الثانية فتتضح على ضوء المعارف الحديثة التي تثبت استحالة صحة رواية الطوفان الواردة في التوراة، وبيان ذلك هو ما يلي:

إن الطوفان وبحسب تقدير هذه الرواية يكون قد وقع في القرن( ٢١ أو ٢٢) قبل الميلاد أي في عصر كانت قد ظهرت قبله في نقاط مختلفة من الأرض حضارات انتقلت أطلالها للأجيال التالية وهذا ما تؤكده المعارف الحديثة ففي

١. الإسلام والأديان – د.مصطفى حلمي ص١٨٠.

مصر مثلا يقابل التاريخ (٢١٠٠) قبل الميلاد الفترة الوسطى الأولى قبل الأسرة الحادية عشرة، وفي بابل أسرة أور الثالثة. وعلى ذلك يتضح انه لم يحدث انقطاع في هذه الحضارات، وبالتالي لم تفن البشرية كلها كما تقول التوراة.

وفي ضوء ذلك كله نرى إن النصوص التوراتية التي وصلت إلينا لا تعبر عن الحقيقة و لا سيما ونحن ندرك بان النصوص في التوراة أكثرها متناقضة بل هي متناقضة كذلك مع معطيات العلم الحديث، بينما نصل إلى حقيقة مهمة جدا هي اتفاق النص القرآني مع معطيات العلم الحديث.

## المبحث الثاني: الكون في القرآن الكريم

أولا : نظرة القرآن الكريم إلى الكون :

إن الكون مركب في وجوده من أجزاء متعددة على نحو تنظيمي معين، وكل جزء من أجزائه يندفع إلى تحقيق غايات معينة بالتآلف مع الأجزاء الأخرى، وكذلك مجموع الأجزاء تندفع إلى تحقيق غايات نوعية ضمن شروط دقيقة.

ولو دققنا النظر في أجزاء الكون ووضعه الحالي والأنظمة الدقيقة المتداخلة مع بعضها والموجودة في كل كائن سنجد مدى روعة الدقة والتنظيم والتخطيط فيها، وهذا مما يؤكد بان الكون لم يخلق عبثا لأن من ورائه خالق مدبر قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾[1] ويلفت القرآن نظر الإنسان في كثير من آياته إلى خلق الكون، وخلق كل شيء فيه بقدر وحكمة وناموس معين، وإلى أن الإنسان مخلوق قصداً وغير متروك سدى.

كما يبين أن الغاية من خلق الليل والنهار وتكوير أحدهما على الآخر لمعرفة المواسم وأوقات العبادة والتجارة قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ ﴾[2].

---

١. الدخان – ٣٨-٣٩

٢. الإسراء – ١٢

فالليل والنهار آيتان دالتان على إحكام نظام الله وقدرته، فاليل سكون وهدوء والنهار حركة وحياة وإبصار بانتظام من أجل إن: -

أ- تبتغوا من النهار رزقا مما أعده الله للأحياء.

ب- لتعلموا عدد الأشهر والسنين والحساب ومواقيت الصلاة والصوم والحج.كما يلفت القرآن أنظار الناس إلى الأرض وإرساء الجبال لها يقول تعالى:

﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[1]

يقول ابن كثير: (من الآيات الدالة على عظمة خالقها وقدرته الباهرة مما قد ذرأ فيها... وكل ذلك مع كل ما في هذا الكون ينطق بلسان الحال انه من صنع إله خالق).[2]

ومن خلال نصوص القرآن نصل إلى وجود تطابق بين صورة الكون في الجوهر مع آيات القرآن نورد بعضا منها:

١. ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ يونس: ٣

٢. ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم

---

١. الذاريات آية ٢٠

٢. تفسير ابن كثير الجزء الرابع ص٢٣٥

مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٧﴾ ﴾ هود: ٧

٣. ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ﴿٣٨﴾ ﴾ ق: ٣٨

٤. ﴿ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ﴾ السجدة: ٥

٥. ﴿ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ﴿٤﴾ ﴾ المعارج: ٤

٦. ﴿ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ ﴾ فصلت: ٩

٧. ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ الأنبياء: ٣٢

٨. ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ الرعد: ٢

٩. ﴿ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ﴿٧﴾ ﴾ السجدة: ٧

١٠. ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ ﴾ يونس: ٥

ومن النسق الكوني والتوازن في خلق الله تعالى نجد إن الله تعالى جمع بين عالم الغيب والشهادة وبين السماء والأرض في نظام الكون، وبين الدنيا و الآخرة في نظام الدين، والروح والجسد في نظام الإنسان والعبادة والعمل في نظام الحياة.

سلكها جميعا في نظام موحد ليكون هذا سبيلا إلى الله تعالى فلو تأملنا في إرساء الجبال على الأرض بقوله تعالى: ﴿ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾[١] لوجدنا إن الغاية الأساسية لخلقه ما يأتي:

١. أنها تحافظ على توازن الأرض عند الميلان.
٢. إن منابع الأنهار غالبا تكون في الجبال إذ يتكون السحاب الثقال على مرتفعاتها وتتساقط الإمطار وتختزن المياه في منابعها داخل الجبال، وبعد ذوبان الثلوج على مرتفعاتها تعود مياهها تجري[٢]... وهكذا وذلك يدل على أن القرآن في آياته المختلفة يبين أن الإنسان دائما وأبدا يحظى على رعاية الله تعالى الذي سخر له الخلائق الكونية الهائلة لينتفع بها على شتى الوجوه، فهو يوجه قلبه بهذا القرآن إلى الارتباط بذلك الأفق.

---

١. النحل ١٥.

٢. فتح البيان في مقاصد القرآن- محمد صديق خان الجزء الخامس ص٢٢٧.

**ثانيا: بداية الكون**

في البدء ليس بين العلماء من يستطيع إن يبين متى بدء الكون وكيف بدء على وجه الدقة لكنهم توصلوا من خلال أبحاثهم لمظاهر الكون إلى أن المادة كانت جامدة وساكنة في أول الأمر، وكانت بصورة غاز ساخن كثيف متماسك، وقد حدث انفجار شديد في هذه المادة قبل (خمسة ملايين) سنة على الأقل فبدأت المادة تتمدد وتتباعد أطرافها.[1]

وهذا ما عرف بنظرية الانفجار.

إن نظرية الانفجار الكبير هي النظرية السائدة، والمسلم بها لدى علماء الفلك الفيزيائيين إلى درجة أنها تكاد تكون من قوتها العلمية قطعية.

وان أول من وضع هذه النظرية هو العالم الفلكي البلجيكي (ادور لومير) ثم احتضنها فلكيون آخرون جاءوا من بعده و عملوا على تطويرها و كان على رأسهم الفيزيائي الأمريكي (جورج كاموف) و بذلك قضت هذه النظرية على أزلية الكون.

تقول هذه النظرية: إن الكون ولد قبل عشرين مليار سنة على أكثر تقدير و قد عرف ذلك في عملية الإشعاع فانه خير وسيلة لإلقاء الأضواء على العهود الموغلة في القدم[2]، بحساب خاص معروف عند علماء الفلك.

و هذه النظرية التي قال بها العلماء جاء بها القرآن قبلهم قال تعالى:

---

١. الكون في القرآن ص٤٦.

٢. شهادة الكون – عبد الودود رشيد محمد ص١٢٤.

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[1]

و لقد فرض العالم الفلكي (جورج ليستر): إن الكون كان كتلة عالية الكثافة (١٠٠ مليون طن لكل سنتمتر مكعب) و كانت هذه الكتلة ساخنة جدا تصل حرارتها إلى بلايين الدرجات و قطرها حوالي ٢٠٠مليون ميل تسمى البيضة الكونية وأن هذه البيضة انفجرت انفجارا هائلا فكونت بذلك نجوما تبعثرت بسرعة عالية من جميع الاتجاهات، و تجمعت مجاميع من النجوم بالجاذبية فتكونت المجرات التي ما زالت تجري في الفضاء الكوني و قد استغرقت هذه المراحل زمنا طويلا يتراوح بين (٢٠- ٦٠ بليون سنة).[2]

وفي عام (١٩٤٨) أعلن جامو عن قصة الكون الذي يبدأ بفضاء مملوء بالبروتونات التي انضم بعضها إلى بعض بالجاذبية مكونة غازا كثيفا أو دخانا ساخنا لدرجة أتاحت حدوث عمليات الاندماج النووي لمختلف العناصر بما في ذلك العناصر الثقيلة المشعة مع وفرة في الحديد و الأوكسجين وتحت تأثير الضغط الهائل لهذا الغاز الساخن المضغوط بدا الكون ينفجر[3]، و تتكثف سحب عن هذه الدرجات في أماكن متفرقة مكونة نجوما منفردة.

نستنتج من ذلك:- إن الكون حادث و ليس أزلي، وقد جاء قانون الطاقة المتاحة ليثبت أنه من المستحيل أن يكون وجود الكون أزليا و مما يؤيد كون الكون مخلوقا و ليس أزليا هو:- ( القانون الثاني للدنيا ميكا الحرارية) فيقرر

---

١. الأنبياء – ٣٠.

٢. الكون في القرآن ص٤٧.

٣. شهادة الكون – ص١٢٤.

هذا القانون (إن الحرارة تنتقل من الساخن إلى البارد... من الحرارة الأعلى إلى الحرارة الأدنى، حتى يتعادل المستويان فيتوقف التبادل الحراري، و لو كان الكون أبديا أزليا بدون ابتداء لكان التبادل الحراري قد توقف في تلك الآباد الطويلة المتاحة وبالتالي لتوقفت كل صور الحياة و انتهى كل شيء[١]. إن هذا القانون الثاني للديناميكا الحرارية مقدرة و علم وحكمة غير متناهية.

ومن الدلائل الأخرى على أن الكون غير أزلي، العثور على المواد الإشعاعية كالراديوم واليورانيوم، و غيرها، مما يدل على أن للكون بداية، و أنه لو كان أزليا لما وجدت هذه العناصر المشعة لأن انحلالها سيكون قد انتهى.[٢]

فظاهرة اتساع الكون و ظاهرة النشاط الإشعاعي تدلان على أنهما تكونتا في اللحظة المعينة لبدأ هذا الكون.

فلو عدنا إلى القرآن الكريم لوجدنا انه يشير إلى مادة الكون الأولية في آية من آياته وهي دخانية السماء يقول تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾[٣] من ذلك نصل إلى أن العلم الحديث جاء على وفق ما أشار إليه القرآن الكريم عن الوقت الذي نشا فيه الأرض و السماء. كما استقر في كلمتهم على أن الكون له بداية مسبوقة بالعدم، فوجد بعد أن لم يكن و هذا يدعو تبعا أن يكون له خالق خلقه من العدم.و قد صدق المبدع الخالق العظيم بقوله: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾.[٤]

---

١. الكون في القرآن ص٤٨.

٢. المصدر نفسه ص٤٨.

٣. فصلت آية ١١.

٤. القمر ايه ٤٩-٥٠.

وهكذا كان الكون قد أنشئ دون وجود نموذج لم يكن هناك شيء من بدء الكون.[1]

لا نموذج - لا قوانين – لا ارض – لا سماء – لا شمس – لا مجرات – لا ذرة – لا مادة – لا طاقة – لا كهرباء – لا ضوء – لا قوة جاذبية – لا قوة نووية....

و لم تكن تلك الكائنات فقط معدومة بل المفاهيم أيضا معدومة.

إما كيفية خلق المادة أو الطاقة من العدم فلا نستطيع إدراكها و لا يمكن بطريق العلم الحديث إن نصل إلى كنهها قال تعالى: ﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا (٥١) ﴾ [2] و منذ انفجار ذرة الكون اخذ الكون يتوسع و كلما توسع هبطت درجة حرارته، و قلت كثافته، و بعد مرور ثانية واحدة على خلق الكون تكون حرارته قد هبطت إلى (١٠ مليار ) درجة و قلت كثافته إلى حد إن النيوترونات و انتي نيوترونات أصبحت لها حرية الحركة،إذ لا تجد أمامها عوائق وموانع، هذا مع العلم إن تمدد الفضاء يعد ساريا في كل مكان.[3]

قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧) ﴾ [4]

ثانيا: نهاية الكون: -

١. شهادة الكون – عبد الودود رشيد ص ١٢٧.

٢. الكهف آية ٥١.

٣. للكون اله – د.حبري الدمرداش – مكتبة المنار-الكويت.ص٣٠٧

٤. الذاريات-٤٧

يوجد في النظام الكوني توازن بين الأجرام السماوية و بين عدد البروتونات و عدد الالكترونات، فلو اختل هذا التوازن بشكل ضئيل جدا لاختل النظام المشاهد حاليا رأسا على عقب.

و في القرآن آيات كثيرة تصور مشاهد الانقلاب الكوني الذي يتعرض له الوجود، حين يأتي اليوم الموعود، حينها ينحل عقد نظام الكون و تتناثر أجزاؤه بعد انفلاتها من قيد قوانين الكون و ينتهي إلى أجله المحتوم يقول الله تعالى:
﴿ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوۡمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ ﴾[١]

و يقرر العلماء ذلك الانفجار الهائل يقول (فرانك اللن)[٢]: أن مكونات هذا الكون تفقد حرارتها تدريجيا و أنها سائرة حتما إلى يوم تصير فيه جميع الأجسام تحت درجة حرارة بالغة في الانخفاض هي الصفر المطلق، و يومئذ تتقدم الطاقة، وتستحيل الحياة، و لا مناص من حدوث هذه الحالة، من انعدام الطاقات عندما تصل درجة حرارة الأجسام إلى الصفر المطلق بمضي الوقت.[٣]

إما الشمس المستعرة والنجوم متوهجة والأرض الغنية بأنواع الحياة فكلها دليل واضح على أن أصل الكون أو أساسه يرتبط بزمان بدا من لحظة معينة فهو إذن حدث من الأحداث.

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو: -

هل نتوقع حوادث كونية تغير مسار هذا الكون و تبدل نظامه؟ ؟

---

١. الحاقة /١٦

٢. عالم شهير من جامعة كورتل – كندا.أستاذ الطبيعة بجامعة ماتيتويا بكندا.

٣. الله يتجلى في عصر العلم – نخبة من العلماء الأمريكيين إشراف(جون كلوفرمونس) ترجمة- د.الدمرداش عبد المجيد سرحان مراجعة د.محمد جمال الدين- دار إحياء الكتب – القاهرة–ص٨

والجواب: يظهر إن هناك بعض التباطؤ في توسع الكون، فبينما تحاول قوة الجاذبية جمع المجرات و جذبها نحو نقطة واحدة، فان توسع الكون يزيد من المسافة بين هذه المجرات مما يؤدي إلى تناقص تأثير قوة الجاذبية عليها و من جهة أخرى تقاوم قوة الجاذبية سرعة تباعد المجرات بعضها عن بعض إذن هناك حاصل بين قوة الجاذبية و توسع الكون فإذا كان التوسع بمقدار يزيد على سرعة الإفلات من قوة الجاذبية، فان التوسع سوف يستمر و هذا ما يسمى بالكون (المفتوح) مع العلم إن سرعة الإفلات بالنسبة لأرضنا هي (١١,٢٣)كم في الثانية.[١]

أما أن كان التوسع الكوني بمقدار يقل عن سرعة الإفلات من قوة الجاذبية فان التوسع سيقل تدريجيا، حينها تبدأ المجرات بالتقهقر و الرجوع بالتجمع من نقطة واحدة كما كان في البداية و هذا ما يسمى بالكون (المغلق) و قد صدق الخالق العظيم حينما بين تلك الحقيقة بقوله: ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (١٠٤) ﴾[٢]

وقال الرسول الكريمﷺ: (يقبض الله الأرض يوم القيمة و يطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض)[٣] إذن الكون ينتهي بمجرد خلل بسيط في الكون،

١. شهادة الكون.ص١٣١

٢. الأنبياء-١٠٤

٣. رواه البخاري و مسلم عن أبي هريرة

قال تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾[1]

ثالثا: مقارنة بين خلق الكون في القرآن والتوراة و مقتضيات العلم الحديث، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾[2]

إما التوراة فتذكر في سفر التكوين (ليكن نور فكان نورا و كان مساء و كان صباح اليوم الأول، ليكن جلد وسط المياه و ليكن فاصل بين مياه ومياه و كان صباح اليوم السابع و بارك اليوم السابع و قدسه لان فيه استراح من جميع عمله للخلق هذه مبادئ السموات و الأرض حيث خلقت.)[3]

فتذكر التوراة التعب و الراحة في اليوم السابع و تنسبها إلى الله تعالى.وقد رد القرآن الكريم على هذه الفكرة التي أقحمها الكهنة اليهود في نص التوراة قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾[4]

و اللغوب هو التعب و تبدو هذه الكلمة التي تصرح بان الخلق لم يتعب الله مطلقا جاء ذلك ردا واضحا على فقرة التوراة التي تقول إن الله استراح في اليوم السابع بعد العمل الذي أنجز في الأيام التي سبقت – تعالى الله عن ذلك

---

١. الزخرف آية (٦٦)

٢. الفرقان آية (٥٩)

٣. التكوين ١٠:٣

٤. ق – (٣٨)

علوا كبيرا  كما إن الإشارة في القرآن إلى (ما بين السموات والأرض ) قد تكررت في آيات كثيرة حيث ذكرت في الآيات: (الأنبياء/١٦ ، الدخان / ٧ ، النبأ/٣٧، الحجر /٨٥، الاحقاف/٣، الزخرف/٨٥).

و هذه الفكرة القرآنية تشير بوضوح إلى مفهوم علمي معاصر لم يكن معروفا فيما سبق و هو وجود مادة كونية خارج المجرات و هي ما تسمى ( المواد البينية المنتشرة في الكون).[1]

و يمكن إن نلخص المفاهيم القرآنية ذات الطابع العلمي والإعجاز القرآني المتوافق مع المفاهيم العلمية المعاصرة.

فيما يخص خلق العالم والكون و الفلك بالاتي: -

١- وجود ست مراحل لخلق الكون عموما.
٢- تداخل مراحل خلق السموات مع مراحل خلق الأرض.
٣- خلق الكون ابتداء من كومة أولية فريدة كانت تشكل كتلة متماسكة تجزأت بعده.[2]
٤- إن الحالة الأولية للمادة السماوية كانت غازية (دخان)
٥- تعدد السموات و تعدد الكواكب التي تشبه الأرض أي (تعدد العوالم).
٦- وجود خلق وسيط و مادة بينية كونية (بين السموات و الأرض).

إن مقابلة هذه المعطيات القرآنية مع العلم الحديث عن الخلق تشير إلى التطابق والتأييد الكبير.

---

١. الإعجاز العلمي في القرآن والسنة – علاء الدين المدرس – مكتبة الرقيم- بغداد ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م ص٦٣

٢. الإعجاز العلمي – ص٦٣.

فالمراحل و العصور أو الأيام الست (في خلق السموات و الأرض و ما بينهما ) يمكن معادلتها بسهولة من العصور الجيولوجية التي شهدها الكون منذ نشأته و لحد الآن كما إن مفهوم (الدخان) في القرآن يقابل مفهوم السديم الأول في العلم الحديث.

و كذلك التداخل بين الشمس كنجم و الأرض و اعتبارها إحدى الكواكب التابعة لها يقترب من المفهوم القرآني للتداخل بين خلق السموات والأرض و كذا تعدد العوالم والأفلاك والمجرات والشموس والكواكب الشبيهة بالأرض، كلها تدعم المفهوم القرآني لتعدد العوالم.

إما الخلق الوسيط بين السموات و الأرض في القرآن فهناك جسور المادة البينية المكتشفة خارج النظم الفلكية المنظمة والتي أصبحت من المفاهيم و الحقائق الشائعة بين علماء الفلك والفضاء.[١]

بناءا على كل ما تم عرضه من نصوص و مفاهيم و معطيات بين العلم والقرآن والتوراة أصبح واضحا جدا، إن المسائل و المعطيات القرآنية إن كانت لم تتلق تماما توكيدا من المعطيات العلمية حتى يومنا هذا، بسبب عدم اهتمام الإنسان – أو عدم إدراكه – حتى الآن استيعاب و تفسير الظواهر الكونية المعقدة و لا سيما فيما يتعلق بخلق العالم و تطور الأجرام السماوية و المجرات الكبيرة جدا.

إلا يمكن رؤية شمسين و قمرين في سمائنا في العالم (٢٠١١) و هذا ما أكدته البحوث العلمية حديثا.

١. الظاهرة القرآنية و العقل – علاء الدين المدرس ص٦٤

و على كل حال فانه لا يوجد على أي حال اقل تعارض بين المعطيات القرآنية الخاصة بالفلك و خلق الكون و المعارف الحديثة في تكوين الكون و المعجزات و الأفلاك و هذا أمر جدير بالملاحظة و يستحق الالتفات إليه فيما يخص القرآن. على حين قد ظهر بوضوح إن نص العهد القديم (التوراة) في سفر التكوين قد أعطى معلومات غير مقبولة في و جهة النظر العلمية و هذا ما بيناه خلال البحث. إن وجود هذا الاختلاف بين رواية التوراة و المعطيات القرآنية عن الخلق جدير بالتنويه أما الاتهامات الاستشرافية التي تقول: باقتصاص معطيات القرآن من التوراة فيما يتعلق بموضوع الخلق فهي تعتمد على أي أساس و هي اقوال مردود كما تبين مما تقدم.

## الخاتمة

و خاتمة المطاف قد تنتهي بنا إلى النتائج الآتية وهي : -

١- وجود ست مراحل لخلق الكون عموما.

٢- تداخل مراحل خلق السموات مع مراحل خلق الأرض.

٣- خلق الكون ابتداء من كومة أولية فريدة كانت تشكل كتلة متماسكة تجزأت بعده.

٤- إن الحالة الأولية للمادة السماوية كانت غازية (دخانا).

٥- تعدد السموات و تعدد الكواكب التي تشبه الأرض أي تعدد (العوالم).

٦- وجود خلق وسيط و مادة بينية كونية بين السموات والأرض.

٧- أعطي (اليوم) في بعض النصوص القديمة معنى يختلف عن معناه الأرضي المفهوم و على هذا فاليوم في القرآن يعني مراحل أو فترة زمنية و ليس الأيام المتداولة بيننا.

٨- إن الفكر القديم يضع المادة أولا – الماء على وجه التحديد – و منها تخرج الآلهة و بعد ذلك اعتبرت المادة و الإله يوجدان سوية دون إن يسبق احدهما الأخر.

٩- تصادم روايات التوراة بالحقائق العلمية.

١٠- الكون في توسع مستمر.

١١- لقد تبين إن هناك بعض التباطؤ في توسع الكون.

١٢- إن مادة السماء و الأرض كانتا شيئا واحدا في بدء التكوين، ففصل بينهما بانفجار هائل يقدره الله تعالى.

١٣- إن خلق الكون قد اتعب الإله كما ترى التوراة عندما خلقه في ستة أيام فاستراح في اليوم السابع – تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

١٤- ذكر الله تعالى بعض أجزاء الكون في القرآن الكريم من اجل إن يربط الإنسان بالكون وان يهتدي إلى غايته و ليتعلم عدد السنين والحساب

١٥- إن هذا الكون مسبوق بالعدم وسينتهي أمره.

# المصادر

القرآن الكريم

١. الأساطير السومرية تأليف صموئيل كريمر – ترجمة يوسف داود عبد القهار – مطبعة المعارف – بغداد ١٩٧١م.

٢. الإسلام والأديان – دراسة مقارنة. د.مظهر حلمي. دار ابن الجوزي. القاهرة.

٣. الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. علاء الدين المدرس. مكتبة الرقيم. بغداد ١٤٢٢ هجري - ٢٠٠١م.

٤. الإنسان والكون في الإسلام. ابو الوفا الفنيمي دار الثقافة للطباعة والنشر بغداد ١٩٧٥م.

٥. الكتاب المقدس (العهد القديم)

٦. الكون في القرآن. دراسة مقارنة.إسماعيل محمد قرني – ١٤١٤ بغداد – رسالة ماجستير.

٧. الوجود.محمود ابو الفيض – مطبعة حجازي القاهرة ١٣٦٦هجري.

٨. تاج العروس – محمد مرتضى الزبيدي – ١٣٨٦هجري دار ليبيا للنشر – المجلد التاسع.

٩. تدوين الكتب المقدسة.حميد عادل يزدين – بغداد- رسالة ماجستير

١٠.التوراة بين الوثنية و التوحيد – سهيل أديب الطبعة الأولى – دار النقاش – بيروت ١٤٠١هجري.

١١.ديانة قدماء المصريين – استدروق الألماني ترجمة سليم حسن.ط الأولى مطبعة المعارف مصر ١٩٢٣م.

١٢.الديانات القديمة – دراسة مقارنة. رشدي محمد عليان. سعدون الساموك – بغداد.

١٣.شرح العقائد النسفية – سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني.طبع في مطبعة مصطفى البابي الحلبي.مصر.
١٤.شهادة الكون : - عبد الودود رشيد محمد.بغداد.
١٥.صورة الكون أ.د.محمد عبد اللطيف مطلب – الموسوعة الصغيرة (٣٥) بغداد ١٩٧٦م.
١٦.كبرى اليقينيات الكونية – محمد سعيد رمضان البوطي. دار الفكر بيروت ١٣٩٧هجري.
١٧.قصة الحضارة. ول ديورانت ترجمة محمد بدران ط٣ - ١٩٧٤ مطابع الرجوع – القاهرة.
١٨.الله – عباس محمود العقاد – دار المعارف مصر ١٩٤٧.
١٩.الله يتجلى في عصر العلم تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين ترجمة د.الدمرداش عبد المجيد سرحان مراجعة الدكتور محمد جمال الدين الفندي – دار إحياء الكتب العربية.
٢٠.لسان العرب – للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور) المجلد الثالث عشر – دار صادر.
٢١.مقدمة في أدب العراق القديم – بغداد ١٩٧٦ – طه باقر.
٢٢.مشكلة الخلق في الفكر الإسلامي. ترجمة حسام الالوسي – بغداد – ٢٠٠٨م.
٢٣.من ألواح سومر تأليف صموئيل كريمر. ترجمة يوسف عبد القادر مطبعة المعارف بغداد ١٩٧١م.
٢٤.الملل و النحل. ابو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر احمد الشهرستاني ط٢ دار المعرفة للطباعة والنشر. بيروت ١٣٩٥هجري.

٢٥.مجلة كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية – الإحساء العدد الثالث السنة الثالثة ١٤٠٣هجري.
٢٦.للكون إله – د.صبري الدمرداش. مكتبة المنار – الكويت.